المحاضرة 4

الملامح الثقافية لمحلات بغداد العتيقة في العصر العباسي

(132-656هـ/749-1258م)

الأستاذ الدكتور سفيان ياسين إبراهيم

جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

اولاً : البيئة الثقافية

تميزت مدينة بغداد كإحدى المدن التي اتسمت بحجومها الكبيرة من وفرة الموارد الاقتصادية وتسور المدينة وتحصينها المستدير المحكم واتسمت بأنها اهلة بالسكان عامرة البنيان اذ دخلت من ضمن المدن الكبيرة مع توافر الأسواق والجامع والإنتاج الذاتي وبالتالي نجد ان بغداد التي بنيت في عهد الخليفة المنصور قد تحولت لمدينة كبيرة مفعمة بحجومها البشرية السكانية وتنوعها الثقافي والمعرفي واتساعها المكاني الذي انتج لاحقا بيئة ثقافية زاخرة في محلاتها القديمة وطرقاتها المتعددة

ثانياً: الروافد السياسية

منذ البدايات الأولى لبحث الخليفة العباسي المنصور عن موضع لبناء مدينة جديدة كانت السياسية رافدا هاما في اختيار المدينة وبنائها واتخاذها عاصمة للخلافة العباسية فقد ذكر الطبري ((خرج بنفسه يرتاد لها موضعا يتخذه مسكنا لنفسه وجنده)) وبهذا فهي دار الخلافة ومعسكر الجند ومركز الإدارة ونظم الخلافة وجذبت بتوصيفها السياسي الجند والعلماء وازدهرت الأنشطة الثقافية من حلقات مشايخ العلم على تعددها واختلافاتها وجلبت اليها الشعراء والمفكرين والحرفيين واهل المهن ولاقى جميع العلماء وفعالياتهم الثقافية المكانة المتميزة والرعاية والتشجيع بشكل متواتر من خليفة الى اخر وتأثرت الملامح الثقافية البغدادية بالمتغيرات والاحداث السياسية وتأرجحت بين الازدهار والتراجع الثقافي وفقا لتلك الظروف السياسية .

ثالثاً : النواحي التخطيطية

لم يشدد الخليفة المنصور على الأسس التي شدد عليها مؤسسو الامصار في تخطيط المدن فالمدينة المدورة لم تخضع خططها ومحلاتها السكنية لاي مؤثر قبلي ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان الخليفة المنصور لم يكن يرغب في توسيع المحلات السكنية فيها وجعلها مفتوحة لاستقبال افراد اخرين ينتمون لهذه القبيلة او تلك .

عمل هذ الامر على تحديد مساحة المدينة التخطيطي السكني زمن التأسيس واطلاق فعاليات ثقافية متنوعة تستند على الافراد وليس المحددات القبائلية الجمعية التي لا تتيح أحيانا حرية النتاج الثقافي . ومع ازدياد عديد السكان وبمرور السنوات خرجت الأسواق والاعمال التجارية خارج المدينة المسورة المدورة القديمة وخرجت معها الكثير من الفعاليات الثقافية نحو الضواحي الجديدة ومنها الى باقي العراق واقاليم الخلافة العباسية الأخرى بعد ان نضجت وتطورت في ظل الزحام الثقافي في المحلات البغدادية القديمة ضمن المدينة المدورة .

رابعاً : الأنواع الثقافية

اشتهرت محلات بغداد التي توافرت فيها البساتين والأشجار وجداول المياه على الحلقات الأدبية ومجالس العلماء والمناظرات الثقافية وانتج التمازج المكاني والثقافي محلات اشتهرت بأدائها الثقافي والادبي والتاريخي وعبرت الأسواق وعدد من السكك والمربعات السكنية عن ثقافات وافدة اذ وجدت طرائف السلع الصينية في سوق خضير، وتواجد التجار الهنود والزنوج والترك أدى الى الكثير من التفاعل والتنوع الثقافي.

برزت المحلات والأسواق بالنشاط القصصي والشعري وبرزت محلات في بيوت مشايخ الحديث النبوي الشريف وعلوم التشريع واخرى زخرت بتداول العلوم الصرفة وكانت مزدهرة بالتجارب وحركة التأليف منهم الرازي وابن سينا وغيرهما وتم تأسيس بيت الحكمة كمركز للترجمة والدراسة والتأليف وتطور النتاج الادبي عند أبو نؤاس والبحتري .

اسهم التعدد الديني والعرقي في خلق بيئة غنية وثرية في الحقل المعرفي والثقافي وانعكست في تطور الفنون والعمارة وتعدد دور المخطوطات والوراقين والنساخ وتعدد المجالس الفكرية وتنوع الاتجاهات الفكرية الثقافية